أبي العلاء المعري

دراسات

استِعْراضٌ لمضَامين الرسائل المتبادلة بَيْنَ أبي العَلاء المعري وداعي الدُعاة الفاطمي

تحقيق

هدية جهره برداز

اِستِعْراضٌ لِمضَامين الرسائل المتبادلة بَيْنَ اَبي العلاءِ المعري وداعي الدُعاة الفاطمي

- هدية جهره برداز

كاتبة وناقدة إيرانية من مواليد طهران 1983/06/06

الملخص:

تحاول هذه العجالة إلقاء الضوء على جانب من أدب المعري الواسع الأطراف حيث نتناول عدداً من الرسائل المتبادلة بين داعي الدعاة الفاطمي و أبي العلاء المعري حيث تناول داعي الدعاة في ثلاث رسائل قضايا متعددة حاول أبوالعلاء المعري في رسالتين كتبهما رداً عليها أن يجيب على داعي الدعاة الفاطمي.

الكلمات الدليلية: أبو العلاء المعري ـ داعي الدعاة الفاطمي الرسائل ـ المَضامين

تقومُ هذه الدراسة باستعراضٍ عامٍ للرسائل المتبادلةِ بين اَبيالعلاءِ المعري وبينَ داعي الدُعاة الفاطمي، وهي خمسُ رسائل أوْرَدهَا ياقوت الحَموي في كِتَابِهِ [...[1]

وتمتاز هذه الرسائل باَهميتِهِ بالغة في تبيين مذهب المعري الفكري وعقيدته كَمَا اَنها ذاتُ قيمةٍ تاريخيةٍ واَدبيةٍ كبيرةٍ تبيّنَ الكثيرُ مِنَ الأمور التاريخية والأدبية.

وفي هذه الرسائل مخاصماتٌ فقهيةٌ وفلسفيةٌ اَثارَتْ الكثير مِنَ الجدلِ عندِ دارسي نثرِ اَبي العلاءِ اِذ يبيّن المعري فيها وفي غيرِها من الرسائل اَسباب عزوفه عَنْ اَكل اللحم ومَا تنتجه الحيوانات كَما اَنّ هناك قضايا أُخري جديرةً باهتمامِ الدارسين وُرِدَتْ في هذه الرسائل.

الرسالَة الاولى مِنْ داعي الدُعاة الفاطمي اِلى اَبي العلاءِ المعري

في هذه الرسالةِ بَدَأ داعي الدُعاة [2]. كلامَه بمدح اَبي العلاءِ ووَصفِه بالاَدب الذي لاَ ينفع في الدُنيا والآخرةِ ـ اِلاّ للشهرةِ عندَمَا قال:

«الشيخ ـ اَحسن اللّه توفيقه ـ الناطق بلسانِ الفضل والأدب الذي ترك من عداه صامتاً، مشهودٌ لَه بهذه الفضيلة من كل من هو فوق البسيطة» [3]

ثُمّ اَشارَ اِلى موضوع تضييع العمر في اللُغَةِ العربية واعتبره بعيداً عن العقلِ قَائلاً: «غيرَ اَن الاَدبَ الذي هُو جالينوس طبه وعندهُ مفاتيح غيبه لَيْس مِمّا يفيدهُ كبير فائدة في مَعادِهِ اَوْ مَعَاشِهِ، سِوى الذكر السائر به الرُكبان مِمّا هُو اِذ نَشَأَ مَعَ المذكورِ بِهِ عَلى اَنّه لَه بمكافه الجمال اَوْ الزينة مادامَ حيا، فاِذا رَمَتْ به يَد المنونُ مِن ظهر الاَرضِ اِلى بطنها... لا بحسنِ ذكره ينتفع ولا بقُبحِهِ يستضرُّ» [4]

ثُمّ كَتَبَ حَولَ أسباب سلوكه المسلك الذي سلكه في الزهد ووصفه بالمبالغة في اَمرِ الزهد في الدُنْيا: «وليست هذه الطريقة اِلاّ طريقة من يعتقد اَنه اِذا اَلمها و نالَ نيلاً مِنها، استوا في جزاءِ فعله بما و لعمرُ اللّه لقد امتدّ بهذا البال اِلى اَقصى الشوط مِن ميدان الزُهد و انتهى فيه اِلى اَبعد البُعْدِ [5] و مَع شهرة المعري بالفضل و اِدعائه في قصيدتِهِ:

غَدَوْتَ مريضَ الدينِ والعقلِ فالْقَني لتَعْلَمَ أنباءَ الأمورِصَحائِح

وهِيَ تدعو اِلى الاِستنارَة بأنوارِهِ و الاِهتداءِ بمنارِه شددت اِليه راحلة العليل في دينه وعقله اِلى الصحيح الذي ينبئُ اَنباءَ الأمور الصَحائح [6]

ثُمّ طرح داعي الدُعاة سؤاله الأول قائلاً:

«واَول سؤالي عن اَمر خفيف فإن استنشقتُ نسيم الصبا سقت السؤال اِلى المهم أسأله عن العلة في تحريمه على نفسه اللحم واللبن وكل ما يصدر اِلى الوجود من منافع الحيوان»؟

ثُمّ يجهد داعي الدُعاة بعد كلام طويل له لإثبات ضرورةِ اكل منتجات الحيوانات بأَن يدفعه اِلى اتخاذ موقف فيما يتعلق هذا الأمر ويتهمه بأنّه معترضٌ على حكمةِ اللّه عَزّ وَجَلّ ويقول:

«واَمّا اَنّه يجد سفك دماءِ الحيوان ونزعها عَن اَرواحِها خارجاً من اَوضاع الحكمة وذلك اعتراضٌ مِنه ـ اَيْ مِن اَبي العَلاءِ ـ على الخالقِ ـ سبحانه ـ الذي هُو اَعرف بوجوه الحكمة» [7]

ثُمّ في نهايَة رسالتِهِ يُطالِبُ اَبا العلاءِ بالرَدِ عليه في هذا السؤال ومَا طرحَه من الأمور المتعلقة به.

«واِذا أنعم الشيخ ـ اَدامَ اللّه توفيقه ـ وتفضل و ساقَ اِلى حُجّةٍ اِعتمدها في هذا الباب رجوتُ كشف المرضِ ـ الذي وقع اِعترافي به في مستأنف السؤال بمطلع صبح بيانه، فيكون قد غرس مني غرساً زكياً وهداني صراطاً سوياً ويزدادُ ـ بمكانه ذلك ـ في موالج الخير ولوجاً وفي معارج اِكتساب فضيلة الشكر و الاَجر عروجاً بمشيئة اللّه وعَونِهِ» [8]

أهمّ ما وُرد في الرسالَة الاولى مِن داعي الدُعاة الفاطمي:

1. مدح اَبي العلاءِ و ذكر فضائله الكثيرة...
2. وُجوب التعلق بالعلم النافع...
3. شهرة اَبي العلاءِ بالفضل...
4. عِلّة تحريم اَبي العلاءِ اللحوم و الالبان...
5. طَلب الجواب منه في نهايَة الرسالَة...

رَدُّ اَبي العلاءِ المعري عَلى رسالَة داعي الدُعاةِ

قالَ العبدُ الضعيفُ العاجزُ، اَحمدُ بنُ عبدِ اللّه بن سُلَيمانَ: اَولُّ ما أبدَأُ بِهِ، أَنّي اَعُدُّ سَيِّدَنا الرَئيسَ الاَجَلّ، المؤيّدَ في الدّينِ ـ اَطالَ اللّه بَقاءَه ـ مِمّنْ وَرِثَ حِكْمَةَ الاَنبياءِ و اَعُدُّ نَفْسي الخاطئةَ مِنَ الاَغبياءِ و هُوَ بكتابِهِ اِلَىّ مُتواضِعٌ. [9]
ثُمّ يَسْعى ـ المعري اَن يُبالِـغَ في التواضُعِ لداعي الدُعاةِ قائلاً:
«وَ من اَنَا حَتّى يَكْتُبَ مِثْلُه اِلى مِثلي؟ مَثَلَه في ذلك، مَثَلُ الثُريا كَتَبَ اِلى الثّرى وَ قَدْ عَلِمَ اللّه اَنّ سَمعي ثقيلُ و بَصَري عَنِ الابصارِ نقيلٌ، قُضِيَ عَلَىّ و اَنا اَبْنُ اَرْبَعٍ، لا اَفْرِقُ بَيْنَ النّازِلِ و الطّالِعِ ثُمّ تَوالَتْ مِحَني، فَأَشْبَهَ شَخصي العود المُنْحَني، وَ مُنيتُ في آخِرِ عُمُري بالاِقْعادِ و عَداني عَنِ النَهْضَةِ عادٍ. [[10]

ثُمّ يَذكُرُ اَبوالعلاءِ اَدلتَه في سببِ اِجتنابه اَكلَ اللّحوم و اَولاً يذكُرُ سبباً مُهماً و هُوَ اِحساسُ الحَيَوانِ بالاَلَمِ كَما يَحُسُّ به الانسان حيث يقول:

غَدَوتَ مريض الدينِ و العقل فَالْقن لتسمعَ اَنباءَ الأمورِ الصَحائح
[11]
فَاِنّما خاطَبَ بِهِ مَنْ هُوَ في غَمرةِ الجَهَل، لا مَنْ هُوَ للرياّسَة عَلَمٌ و أَصلٌ و قد عَلِمَ اَنّ الحيوانَ كُلّه حَسّاس يقع بِهِ الاَلَم. [12]
فيُشيرُ اَبوالعلاءِ المعري اِلى كلامِ داعي الدُعاةِ حَولَ اختلاف القُدَماءِ في ذلك الموضوع:
«وَ قد سَمِعَ العبدُ الضعيفُ العاجزُ شيئاً مِنْ اِختلافِ القُدماءِ يكون فيما سمعه سيدنا الرئيس الاَجل المؤيد في الدين ـ لا فتيءِ اِلا المنار هادياً و عَلَى من احتزاه للمصلحةِ حادياً ـ حزءاً مِن احزاءِ تجاوزُ في العدد ألوفاً و يوجدُ يقينها مألوفاً».

[13]

و مَعَ اَشارَتِهِ اِلى قضية الخير و الشر يقول:

«إذا بَنَيْنَا القَضيةَ البَتّيةَ المركّبةَ مِنَ المُسْنَد و المُسند إلَيْهِ و لَهَا و اسطتانِ، اِحداهُمَا نافيةٌ، و الأُخرىَ اِستثنائيّةٌ، فَقُلْنَا: اللّه لا يَفْعَلُ اِلاّ الخيرَ، فهذه القَضية كاذبَةٌ أَمْ صَادَقةٌ؟ فِاَن قيلَ صادقَةٌ، فقد رَأَيْنَا الشرورَ غالبةً، فَعلِمْنا اَنّ ذلك اَمْرٌ خَفيٌّ» [14]

و قَدْ ذكر المعري بَعدَ ذلك كلاماً مُفصلاً عَنْ موضوعِ هجران اللُحوم عند بعض الناس بسببِ إيلامه و قد اِسْتَشْهَدَ بالشعر العربي في موضوع حنينِ الحَيوانِ حيثُ يقُولَ:

«و لَمْ يَزَل مَنْ يُنْسَبُ اِلى الدّينِ يَرْغَبُ في هجران اللحوم، لاَنّها لَمْ يُوْصَلْ اِليها اِلاّ بايلامِ حَيَوانٍ، يَفِرّ مِنْهُ في كُلّ أوانٍ، و أَنّ الضّائنةَ تكونُ في مَحلّ القومِ وَ هِي حاملٌ، فَاِذا وَضَعَتْ و بَلَغَ ولَدُها شهراً اَوْ نَحْوَه، اِعْتَبَطوهُ فَاَكلوه وَ رَغبوا في اللّبنِ و باتَتْ اُمُّهُ ثاغيةً، لَوْ تقْدُرُ سَعَتْ لَهُ باغيَةً، و قَدْ ترددّ في كلامِ العرب ما يَلْحَقُ الوَحشيّةَ مِن الوَجدِ و الناقَة إذا فَقَدتِ الفصيلَ، فقال قائلُهُمْ:

فَمَا وَجِدَتْ كَوَجدي أُمُّ سَقْبٍ أَضَلّتْهُ فَرَجّعَتِ الحَنينَا»

[15]

ثُمّ بَعْدَ طرحه هذه المواضيع يَعود المعري مرةً اُخرى اِلى علم اللّه بالخير و الشَرِ و بَعْدَه عَن الرأفَةِ بالحيوانِ مُشيراً اِلى بَعْضِ القضايا المشهورة عَنْ اَحوالِ الفارس و الصَيْد و الحيوانِ:

«و للسائل اَنْ يَقولَ: اِن كان الخيرُ لا يُريدُ رَبُّنا سِواه فالشَرُّ لا يَخلو مِنْ اَحَدِ اَمْرين:

اِمّا اَنْ يكونَ قَدْ عَلِمَ به أَوْلا. فَاِنْ كانَ عالماً به، فَلا يَخْلو مِنْ اَحدِ اَمرينِ اِمّا اَنْ يكونَ مُريداً لَه اَوْ لا. فَاِنَ كان مُريداً، فَكَأَنّه الفاعِلُ، كَمَا اَنّ القائِلَ يقولُ: قَطَعَ الأميرُ يَدَ السّارِقِ. و اِنْ لَمْ يُباشِرْ ذلك بِنَفْسه.

و اِنْ كانَ غَيْرَ مُريد، فَقَدْ جازَ عليه مَا لا يَجوزُ عَلَى اَميرٍ مِثْلِه في الاَرضِ اَنّه اِذا فُعِلَ في ولايَتِه شَيءٌ لا يَرْضاه اَنكَرَهُ و اَمَرَه بزوالِه و هذه عُقْدَةٌ قَدْ اِجتَهَدَ المتكلّمونَ في حَلّها فَأَعوزَهُمْ. و بَعْدُ قَدْ ذكرت الأنبياءُ: أَنّ البارئَ ـ جَلّتْ عَظمتُه ـ رَؤُوف رحيمٌ، و لَوْ رَأفَ ببني آدم، وَجَبَ اَنْ يَرْأفَ بغيرهم مِن اَصْنَافِ الحيوان، الّذي يَجِدُ الأَلَمَ بادْنى شيءٍ وَ قَدْ عَلِمَ اَنّ الوحوشَ الرّاتعةَ يُبَكّرُ إليها الفارسُ، فَيَطْعَنُ العيرَ اَوْ الأتانَ و هُنّ مَا اَسْدَيْنَ اِليَه ذَنْباً و لاَيِ حالٍ اِسْتَوْجَبَ مَنْ يَفْعَلُ بِهَا هَذا، «الرّقّةَ»؟

وَ هِيَ لَمْ تَشْرَبْ مِنَ الماءِ بذنوبٍ و لَمْ تُجْزَ مَا تَكْسِبُ مِنَ الذُنوبِ، وَ قَدْ رأيتُ الجَيْشَينِ المُنْتَسِبَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمَا اِلى الشَّرْعِ المُنْفرَد يلتقيانِ و كِلاهُمَا في مَدَدٍ و يُقْتَلُ بَيْنَهُمَا آلافٌ عَدَداً، فهذا مَحسوبٌ مِنْ اَيّ الوجْهَيْنِ؟

فَلَيْسَ عِنْدَ النَظرِ بَهَيّنٍ. فَلَمّا بَلَغَ العَبْد الضعيف العاجز اِختلافُ الأقوالِ و بَلَغَ ثَلاثينَ عَاماً، سَأل رَبّه اِنعاماً، فَرزقَه صَوْمَ الدّهرِ، فَلَمْ يُفطِرُ في السّنَةِ و لا الشّهرِ، اِلاّ في العيدينِ و صَبَرَ عَلى تَوالي الجديدَينِ و

ظَنّ اِقتناعَه بالنّباتِ لَه جميلَ العاقبةِ.»

[16].

ثُمّ يتحدّثُ عَنْ حياتِه الخاصّة مشيراً اِلى اَنّ صومَه الدَهرَ رِزقٌ من اللّه تَعالَى طِوالَ حياتِه ثُمّ يخاطِبُ داعي الدُعاة بِكَلامٍ فيه الكثيرُ مِنَ الاِحترام و الاَدب و يعرّج بَعْدَه مَرّةً ثانيةً على موضوعِه بالاِشارَةِ اِلى فتكِ الحيوانات بالاِنسان، كَما تَحَدّثَ عَنْ تَقاتِلِ الطيورِ بَعْد اَن كانْ قَدْ تكَلّمَ عَنْ تَقاتلِ البشر سابقاً ثُمّ اَشارَ اِلى قضيةِ خَلقِ العصاةِ قائلاً:

«و قَدْ عَلِمَ سَيّدُنا الرَئيسُ الأَجلُّ، المُؤَيّدُ في الدّين و لاَ رَيبَ، اَنّه قَدْ نَظَرَ في الكُتُب المتقدّمَة، و مَا حُكِيَ عَنْ جالينوس و غَيْرِه، من اِعتقادٍ يَدُلّ عَلَى الحَيْرَةِ و اِذا قيلَ: اِن البارئَ رَؤوفٌ رحيمٌ، فَلِمَ سَلّطَ الأسدُ عَلَى اِفتراسِ نَسَمَةٍ اِنْسيّةٍ، لَيْسَتْ بالمُفْسِدَةِ و لا القَسيّةِ و كَمْ ماتَ بِلَدغِ الحيّات جَمَاعَةٌ مشهورَةٌ و سَلّطَ عَلَى الطَيّرِ الرّاضيةِ بَلَقْطِ الحَبّةِ البازيَ و الصّقرَ؟ و اِنّ القَطاةَ لتَدَعُ فِراخَهَا ظِمَاءً، و تَبْتَكِرُ لِتَرِدَ ماءً تَحْمِلُهُ اِلَيْها في حَوْصلتِها، فَيُصَادِفُهَا دُونَهُنّ اَجْدَلُ فَيَأْكُلُهَا، فَيَهْلِكُ فراخُهَا عَطَشاً. وَ ذَكَرَ اَشياءَ مِنْ هذا الباب ثُمّ قال: اَعوذُ باللّه و اَتَبَرّأُ مِنْ قَولِ الكافِرِ.» [17]

و في نِهايَةِ الرسالَة يلخص المعري كُلّ كلامِه ليقولَ اِنّ السَبَبَ الرئيس في ترك اَكل لحمِ الحيوانِ هُوَ فَقْرِه و حِرمانه مِنَ الاَموال و عيشته الصعبة قائلاً:

«و مِمّا حَثّني عَلَى تركِ اَكلِ الحَيَوان، اَنّ الذي لِي في السّنَةِ نَيّفٌ و عشرونَ ديناراً، فاذا أَخَذَ خادمي بَعْضَ ما يَجِبُ، بَقِيَ لِي مَا لا يُعْجِبُ، فاَقتَصرْتُ عَلَى قولٍ و بُلْسُنٍ و مَا لا يَعْذُبُ الأَلْسُنِ، فَأَمّا الآنَ، فإذا صَارَ اِلَى مَنْ يَخدُمُني كبيرٌ، فَعِندي و عِنْدَه هَيّنٌ، فَمَا حَظّي اِلاّ اليَسيرُ المُتَعَيّنُ و لَسْتُ اُريدُ في رِزقي زيادَةً و لا اُوْثِرُ لِسَقَمي عيادَةً و السّلامُ» [18]

خُلاصَةُ ما وُرِد في الرسالَة الثانية التي كَتَبَها اَبوالعلاءِ المعري رَداً عَلى رسالَة داعِي الدُعاة:

1. تواضُع اَبي العلاءِ المعري.....
2. عُذر اَبي العلاءِ....
3. اِحساسُ الحيوانِ بالألم
4. اِختلاف القدماءِ في موضوع اِحساس الحيوان...
5. قضيه فاعلِ الشَرّ...
6. عِلّةُ هجران اَبي العلاءِ اللحومَ...
7. الرأفَة بالحيوان...

8. تقَاتلُ الانسان
9. حياة اَبي العلاءِ
10. فَتْكُ الحيوان بالاِنسان
11. تقاتل الطيرِ
12. خلقُ العَصَاة
13. حَديثُ حَولَ فَقْرِ اَبي العلاءِ المعري

ـ الرسالَة الثالثَة: الرسالَة الثانيةُ مِنْ داعي الدُعاةِ و هي تتضمن اَسئلةُ وجّهها إلى اَبي العلاءِ المعري:
ففي هذه الرسالَة التي كَتبَها داعي الدُعاة اِلى المعري نَجِدُ بَانّ داعي الدُعاةِ يُصِرُّ عَلَى السُؤال السابق الذي طرحَهُ في الرسالَة الأولى حَولَ قضية خَلْقِ النَبات و الحيوان و هُنَا طَرَحَه كموضوعٍ جديدٍ قَبْلَ اَن يجيبَ عَلى اَسئلَةِ اَبي العلاءِ مَعَ ذِكر مقدمَة قصيرةٍ قبلَهُ قال فيها «حُوشي الشيخ ـ اَدامَ اللّه سلامتَه ـ مِنْ اَن يكونَ مِمّنْ قَطَفَ في مرضِ دينِه و عَقلِه بِعلّتِه و اَجابَ دَعْوَة الداعي منه بالبيت الشائع عَنْه، لِيَنال شَفَاءَ عِلّتِه جواباً يُزيدُه اِلى غُلّتِه غلةً اِذاً يكون كَمَا قالَ المتنبي:

اَظْمَتْني الدُنيا فَلَمّا جِئتُهَا

مُسْتَسْقياً مَطَرَتْ عَلَيّ مَصَائِبا»

[19]

و مِنْ هُنَا بدأ داعي الدُعاة اِصرارَه عَلَى سُوالِهِ السابق حولَ موضوعِ عَدَمِ أَكْلِ أبي العَلاء اللَحْمِ.
«كان سؤالي لَه ـ حَرسَه اللّه ـ في شيءٍ بنفسِهِ في هجره ما يَسدُّ الجِسْمَ من اللَحْمِ الذي يُنْبِتُ اللحَم، فأجابَ بِمَا اَقولُ في جوابِه: اَهذه اَبناءُ الخ و هَلْ زادَ السّقيمَ بدَوائه هذا اِلاّ سَقماً و الأعَمَى و الاَصمّ في دينِه وَ عَقْلِه بِما قالَ اِلاّ عَمًى و صَمماً؟» [20]
«وَ اِنّ الموجود من ترتيب الخلقَة اِن النباتَ مخلوقَةٌ للحيوان و الحيوان العجماء لمخلوقه لمنافِعِ الاِنسان و اِنّه اِن اَنْكَرَ المُنْكِر اَنَ اللّه تعالي سَمحَ في ذِبْحِهَا و التناول من لحمِهَا: قُلْنَا له: اِنّ الدليلَ عَلَى بُطلانِ قولِه مَا نراه مِن بعض اَجناس خليقته سباعاً و طيراً و كونه مخلوقاً لفَسْخِ اللَحْمِ و أكله و الاِنتفاع به و نَحْنُ اَفضل من السباع و جوارح الطيرِ و اَن الذي يمتنع اَن يمسه بسوءٍ مَا ينبغي اَنْ يكونَ اَرحم اَوْ أرأفِ به من الصانع سبحانَهُ» [21]
وَ بَعْدَه حولَ قضيةِ الخَيْر و الشرِ الّتي استدلّ بِهَا اَبوالعلاءِ يُحاول داعي الدُعاة الرَدَ عَلَى اَبي العلاءِ مرةً

أَخرى وَ قَبْلَه اَتى بِاَجوبَة اَبي العلاءِ في رسالتِهِ السابقةِ.
[[22]]

ثُمّ بَعدَ طرح موضوع الشرع و موقف كلٍ من أبي العلاءِ و داعي الدعاة ينتقل داعي الدُعاة اِلَى رَد آخر مِن ردود اَبي العلاءِ في الرسالةِ السابقة حول موضوعِ اِيلام الحيوانِ الذي هو وسيلة الوصول اِلى اللحوم و كانَ هذا الموضوع «ايلام الحيوان» مِن اَهم دَواعي المعري عِند تركه اَكل اللحم قائلاً:
«اَمّا القول: اِنَ اللحوم لاَ يُوصل اِليها اِلاّ بايلام الحيوان و إتيانِه فَقَد سبق الجواب: لاَ يكونَنّ الشيخُ أرْأفَ بِمَا مِنْ خالقِها، فَلَيْسَ يَخلو مِن كونِه عادلاً اَوْ جائراً. فَاِنْ كانَ عادلاً، فَانّه سبحانَه يقبضُ اَرْواحَ الآكِلِ و المأكولِ، جميعاً، و ذلك مُسَلّمٌ لَه، و اِن كانَ جائراً، لَمْ ينبَغِ اَن نَرْجَع عَلى خالقِنَا بِعَدْلِنا وَ جورِه» [[23]]

ثُمّ بَعْدَه يُكَرّرُ داعي الدُعاة الحديثَ عَنْ موضوع الخير و الشرِ حيث يستدلُّ اَنّ اللّه كانَ يعلم هذه الأمورَ اَحسنُ مِنْ كُلّ موجودٍ قائلاً «فكيف يجوز للاِنسانِ اَن يَدّعَي اَمراً اَجازه اللّه تَعالى» و قائلاً «فاَقولُ في الجواب: قيل: اِن اِنساناً ضاع لَه مصحفٌ فقيل لَه:
اِقرأ: «والشمس و ضُحاها» فانك تجده فقال: «و هذه السورَة اَيضاً منه...» و كذلك اَقول اِن هذا اَيضاً مِن ذاك و جميعه ظلمات، فاَيَنَ النورُ؟ و اِنَمَا قَصَدْناه للنورِ لنعرفَ اَنبَاءَ الأمور الصَحائح كَمَا قالَه» [24]
و كُلّما يسعى داعي الدُعاة اِليه في هذا القسم هُو الحديثُ عَن موضوعِ علم اللّه بالخيرِ و الشرِ اَحسنُ مِنْ كُلّ مخلوقاتِه.
و بَعْدَه ينتقل داعي الدُعاة اِلى مواضع اُخرى مَعَ اِصراره عَلَى اَنْ يتحدثُ و يَسأَلُ اَباالعلاءِ حَول دليلِ صومِه الدهرَ و اِمساكِه عَنِ المآكِلِ اِلاّ في العيدينِ و لزومه الامساكَ و اِقتناعِه بالنباتِ، قائلاً:
«اَمّا قولُه: لَمّا رأي اِختلاف الاَقوال و اَيْقَنَ بنفادِ وَ زوالٍ سَاَلَ رَبّه اَن يَرْزُقَه صَومَ الدَهرِ و اقتنع بالنباتِ، فَمَا صَحّ لِي اَنّ الربَ الذي سَأَلَه، هُو الذي يُريدُ الشرَ وَحْدَهُ اَوْ الذي يُريدهما جميعاً و الصّوم فَرْعٌ عَلى اَصلٍ، مِنْ شرعٍ يأتي به رسولٌ و الرسولُ يتعلّق بمُرْسَلٍ و قِصَتُنا في الرُسلِ مُشْتَبِهَةٌ، يَبْعَثَ رَسولاً يُريدُ اَن يُطاعَ اَمْ لا يُطاع؟ فاِنْ كانَ يُريدُ اَن يُطاعَ، فَهُو مغلوبٌ عَلَى اِرادَته، لاَنَ مَنْ لاَ يطيعهُ اَكثرُ، و اِنْ كانَ يُريدُ اَلاّ يُطاعَ، فاِرسالُه اياهُ مُحالٌ و طَلبَه حُجّة عَلَى الضُعَفاءِ لِيُعَذّبَهُم، فاِن كانَ موضوعُ صَومِه عَلَى هذا فَلَمْ يَفْعَل شيئاً و اِن كانَ عَلَى غيره مِمّا هُو اَجْلى و اَوْضَح فَهُو الذي أطلُبه» [25]
ثُمّ ينتقل داعي الدُعاة اِلى المواضيع الأخرى مِنْ قبيل صوم اَبي العلاءِ ـ القول بالرجعة و كذلك موضوع سبّ الدهر و هي مواضيع كانَ قَدْ اَشارَ إليها اَبوالعلاءِ في ردِه عَلَى رسالَةِ داعي الدُعاةِ.

و هُنا كَما يُلاحِظُ القارئ فإنّ داعي الدُعاة لَمْ يتطرق اِلاّ اِلى موضوعاتٍ ترتبط بالجانب الديني و الفِقهي اِلى حَدٍّ كبيرٍ ـ حيث إلى اَكل اللحم من عدمه بشكل هاجسه الأهم فيحاول بشَتى الطُرُق إثباتَ شيئٍ كانَ اَبوالعلاءِ اَدرى الناس به، فاَبوالعلاءِ لَمْ يتخذُّ القرارَ بتحريم اَكلِ اللَحم بشَكْلٍ مُفاجي دون وَعيٍ مُسبقٍ بَلْ كان قرارُه نابعاً عَنْ تفكيرٍ طويلٍ اَدّى اِلى هذه النتيجة فاِصرارُ داعي الدُعاة عَلى العُدول عَنْ هذا القرار لَنْ يُجديَه نَفْعاً، لِاَن اَبا العلاءِ عقد العزم عليه و أثبت اَنّه لَنْ يتنازل عَنْ قرارِه غيرَ اَنّ اَباالعلاءِ لاَ يَرُدُّ عليه بالرفضِ بشكلٍ مباشرٍ و اِنّمَا يَتّخِذ اِلى الرفضِ و سائلَ مثل التواضع اَمامَ داعي الدُعاة و مداهنته و مراعاة و محاولة استمالته عَسَى اَن لا يتعرض لخطرٍ من ناحيته فداعي الدُعاة يمثل السُّلطة السياسية و الدينية في آنٍ واحدٍ و لَمْ يَكُنْ صَعْباً عليه اَن يتّهِمَه بالخروج عَنْ المِلّه و اعتبار عمله مُنكراً من المُنكرات مِمّا كانَ يُسهّلُ عَلَى الجميع الهجوم عليه غيرَ اَنّ تجارِبَ الدَهرِ عَلّمتْ اَبا العلاءِ كَيْفَ يتعامل مَعَ اَمثَالِ داعي الدُعاة، فردوده عَلَى رسائل داعي الدُعاة لاَ تمثل علمه و أدبه فحسب، بَلْ تظهر للجميع مدى حنكته في مواجَهَةِ رَجلٍ يتّخذ من السياسَة و الدين سلاحاً لِانكارِ صفات اَبي العلاءِ غير اَنّ الغريبَ في الاَمرِ. أِن اَبا العلاءِ استطاعَ الخروج مِنْ هذه المشكلة التي سببّها داعي الدُعاة و بالأخرى الاِحراج الذي سببّه له داعي الدعاة فيتعَجّبُ الكثيرونَ مِنْ قُدْرَة اَبي العلاءِ عَلَى المواجَهَة و عَلى الصمُود عَلى التعبير عنْ قضايا في ديوان لزوم ما لا يَلزم كانَ اَبسطها كافياً لاِهدار دَمِه لاَمرٍ ماسَكَتَ الفُقَهاء و رجالُ الدين و أصحابُ السُلطة عَن اَبي العلاءِ و السؤال هُو اَلَيْسَ ذلك لحنكَة اَبي العلاءِ و تجاربه و ذكائه في معرفَةِ الظروف و مُحاوَلة الخلاصِ مِن المآزق الطارئة و المُسْتَدامَة؟

ـ خُلاصَة ما وُرِد في الرسالَة الثالثه أي الرسالَة الثانية من داعي الدعاة تشتمل على اَسئلةٍ موجَهَة إلى أبي العَلاءِ حَول المضامين و القضايا التالية:

1. خَلَق اللنبات للحيوان و الحيوان للاِنسان
2. قضية الخير و الشر
3. اِيلام الحيوان
4. علم اللّه بالخير و الشَرّ
5. صوم اَبي العلاءِ و اِقتناعه بالنبات
6. خلق اللّه العَصاة
7. سَبّ الدَهرِ
8. فقر اَبي العَلاءِ

الرسالَة الرابِعة: الرسالَة الثانية مِنْ اَبي العَلاءِ رَدّاً عَلَى الرسالَة الثانية مِنْ داعي الدُعاة
في هذه الرسالَة التي كتبها المعري رَداً عَلَى الرسالَة الثانية مِن داعي الدُعاة مَعَ تبجيل داعي الدُعاة و اَيضاً اِعترافه بالعجز و طلبه الرُشدَ قائلاً:
«سيّدنا الرئيس الاَجل، المؤيد في الدين، عِصْمَة المؤمنين، هدىَ اللّه الأممَ بهدايته و سلك بهم طريقَ الخير عَلَى يَدِه، قَدْ بَدَأ معترف بجهله ـ المُقِرّ بحيرته و الداعي اِلى اللّه سبحانه اَنْ يَرْزقَه مَا قَلّ مِنْ رحمته في اَول ما خاطبه به ـ اَني ذَكَرَ اِعتقادَه في سَيّدنا الرَئيس الاجَل المؤيّد في الدين، ضَوّأ اللّه الظلمَ ببصيرته و اَذْهَبَ شكوكَ الاَفئدة برأيه وَ حلمته و مَا نفسه عليه من الذلّة و الحَقَرية عِنده و اَنّه يحسبُها ساكتةً في بعضِ السوام، و عجبَ اَنّ مثلَه يطلبُ الرُشدَ مِمّنْ لاَ رُشدَ عِنده، فيكونُ كالقمر الذي هُوَ دائبٌ في خدمته رَبّه ليلاً و نهاراً، و يطلب الحقيقة مِمّنْ اَقْفَرَ بفلاةٍ يَرِد الماء عَلَى الصائد وَ يصيبُ قلبَه بسَهْمٍ و قد ذكر ـ اَيّدَ اللّه الحقَ بحياته ـ بيتاً من اَبيات عَلَى الحاءِ ذكر وليّهُ لِيُعْلِمَ غيرَه ما هُوَ عليه مِنَ الاِجتهادِ في التديّن و ما حيلتُه و الاَبياتُ اَولُها حَولَ اَسرار اللّه:

غَدَوْتَ مريضَ العقلِ و الدّين و فالقني لِتعلمَ اَنباءَ الأمور الصَحائح
فلا تَأكلن مَا اَخرج الماءُ ظالماً و لا تَبْغِ قوتاً مِنْ غريض الذبائح

«و لاَ يقدرُ اَحَدٌ يَدفع اَن الحيوان البحري، لا يخرُجُ من الماءِ اِلاّ و هُو كارهٌ و اِذ سُئلَ المعقول عن ذلك لَمْ يقبّح تركَ اَكلهُ اِن كان حلالاً، لاَن المتُدّينين لَمْ يَزالوا يتركونَ ما هُوَ لَهُمْ حَلالٌ مُطلقٌ» [26]
ثُمّ حَول موضوع رحمَة الحيوان قال هذا البيتَ و شرَحَهُ:
و اَبيضُ اَمات اَرادَتْ صَريحَهُ لأطفالها دُونَ الغواني الصّرائح
«والمُراد بالاَبيض: اللبن و مشهورٌ اَنّ الأمّ اِذا ذُبِحَ ولَدُها وَجَدَتْ عليه وَجداً عظيماً و سهرت لذلك الليالي، وَ قَد اَخَذَ لحمه و تَوَفّرَ عَلَى اَصحاب اُمه مَا كان يَرضَع مِنْ لبنها و اَيُّ ذنبٍ لِمَنْ تحرّجَ عَن ذبح السليل و لَمْ يَرْغَبْ في استعمالِ اللبن و لاَ يَزعم اَنّه محرّمٌ و اِنّمَا تركَه اِجتهاداً في التعبد و رحمةً للمذبوح و رَغبة اَن يُجازيَ عَنْ ذلك بغفران خالق السمَوات و الاَرضِ» [[27]

ثُمّ حَول قضية ظلم الطير مشيراً اِلى بعض كلام النبي (ص):
فَلا تفجعَنّ الطيرَ و هِيَ غوافل بِمَا وضَعَتْ فالظلمُ شَرُّ القبائحُ
و قد نهي النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عَن صيد الليل و ذلك اَحد القولين في قوله عليه الصلاة و السّلام «اَقِرّوا الطيرَ في وُكُناتِها، فاِذا سَمِع مَنْ لَهُ اَدنى حِسّ هذا القولَ، فلا لومَ اِليه اِذا طلب التقرّب اِلى رَبِّ السمَوات و الاَرضين، بَاَن يجعل صيدَ الحِلّ كصيد الحرم و اِن كانَ ذلك لَيْسَ بمحظورٍ.

ثُمّ اَشارَ اَبوالعلاءِ اِلى تقشفِ علي (ع) و تقشف المجتهدين قائلاً:
و رُوي عَنْ علي عليه السلام حكايَةً معناها: اَنّه كان لَه دقيقُ شعيرٍ في وِعاءٍ يختِمُ عَليه، فاِذا كانَ صائماً لَمْ يختم عَلَى شيءٍ منِ ذلك الدقيق و قد كان عليه السلامُ يَصِلُ اِلى غِلّةٍ كثيرةٍ ولكنّه كانَ يتصدّقُ بِهَا، و يقتنعُ اَشَدّ اِقتناعٍ و رُويَ عَنْ بعضِ اَهلِ العلمِ اَنّهُ قال في بعضِ خُطَبه:
اِنّ غلته تبلغُ في السَنَه خمسينَ اَلفَ دينارٍ و هذا يَدُلُ على اَنّ الانبياءِ و المجتهدين مِنَ الأئمة يقصرون نفوسهم و يُؤثرونَ بِمَا يفضُلُ مِنهم اَهْلَ الحاجَةِ.» ثُمّ ينقِلُ اَبوالعلاءِ اِلى مرضِهِ و ضعفه اللذينِ اُصيبَ بِهما:
«و العبد الضعيف العاجز قَدْ اِفتقر اِلى مثلِ ذلك و لَوْ مَثَلَ بحضرتِهِ السّامية لعَلِمَ اَنّه لَمْ يَبْقَ فيه بقيةٌ لاَنْ يُسْأَلْ و لاَ اَنْ يجيبَ، لاَن اَعضاءَه مُتخاذلَةٌ و قَدْ عجز عَنِ القيامِ في الصّلاَةِ، فاِنّما يُصَلي قاعداً و اللّه المستعان و كيفَ لَه اَن يكونَ يَصِلُ اِلاّ اَنْ يَدِبّ عَلَى عُكّاذٍ» [28]
ثُمّ يُبدي المعري تواضُعَه مرةً اُخرى حيث يتعجب مِن اِسترشادِ داعي الدُعاةِ به قائلاً:
«فَمن اِسترشد بمثل العبد الضعيف العاجز، مثلُه مَثَلُ مَنْ طَلَبَ في القَتَادَةِ ثَمَرَ النخلة و اِنما حَمَل سائلهُ عَلَى ذلك حُسْنُ الظّنِ الذي هُو دليلٌ عَلى كرمِ الطبعِ و شرفِ النفسِ و طهارَةِ المَوْلِدِ و خالصِ الخِيمِ» [29]
و بَعْدَه يُعالج المعري في رسالتِهِ موضوع توسيع الرزق الذي اَشارَ اِليه داعي الدُعاة:
«و اَمّا مَا ذكره من المُكاتبَةِ في توسيع الرزقِ عَلَيّ، فيدُلّ عَلَى اِفضالِ وَرِثَه عَنْ اَبٍ فاَبٍ، وَ جَدٍ في اِثرَ جَدّ، حَتى يَصِلُ النسب اِلى التُرابِ فالعبد الضعيف العاجز مَا لَه رَغْبَةٌ في التوسّعِ و مُعَاوَدَةِ الأطعمَة و تركُها صارَ لَهُ طبعاً ثانياً و اِنّه ما أكَلَ شيئاً مَن حيوانٍ خمساً و اَربعين سَنَةً:
و الشيخ لاَ يتركُ اَخلاقَه حَتى يُوارَي في ثَرَى رَمْسِهِ».

و بَعْدَه يتحدثُ المعري مخاطباً امير حلب في عهدِهِ داعياً لَه قائلاً:

«وَ قَد عُلِمَ اَنّ السيد الاَجل، تاجَ الأمراءِ، فخرُ المُلك عُمْدَةَ الامامَة و عُدّة الدولَة و مَجْدَهَا، ذا الفخرينِ، نصيف اَولادِ سامٍ وَحامٍ وَ يافِثَ ووُدُّ العبد الضعيف العاجز، لَوْ اَنَ قلعَة الحلب و جميع جبال الشامِ جعلها اللّه ذهباً لَيُنْفِقَه تاجُ الأمراءِ، نصير الدولَة النبويَة، عَلَى اِمامها السلامُ و كَذلك عَلَى الائمة الطاهرين مِنْ آبائه مِن غير اَن يصيرَ اِلى العبد الضعيف مِنْ ذلك القيراط» [30]

ثُمّ يتحدَثُ المعري عَنْ زُهده و استخدامه السجعَ محتجاً في ذلك بفواصل القرآن ثُمّ اِلى السَجع عند الحمائم و ثُمّ يعالج اِلى موضوع كراهيةِ الرسول للسجع و يمضى في رسالته بالتواضع اَمامَ داعي الدُعاة

مادحاً إياه؛
«وَ هُوَ يستحي مِن حضرةِ تاج الأمراءِ، اَن ينظُرَ اِليه بعين مَنْ رَغِبَ في العاجلَة بعدَ ما ذَهَبَ و هُوَ رَضيٌّ اَنْ يلقيَ اللّه جَلّتْ قُدرته و هُو لا يُطالِبُ اِلاّ بِمَا فَعَلَ مِنْ اِجتناب اللحومِ فإن وَصَلَ اِلى هذه الرُتبه فقد سَعِدَ ثُمّ اِعتذر عَنِ السجع بَاخبارٍ اَوْردها، اِحتجاجات ذكرها ـ و سَيدنا الرئيس الاَجل المُؤيّدُ في الدين لاَ زالَتْ حُجته باهِرَةً و دولته عاليةً كَمَا قالَ ثعلبَةُ بنْ صُعير:

و لَرُبّ قومٍ ظالمينَ ذوِي شَذيً
تَغلي صدورُهم بِهْتِرِ هاتِرِ
لاقيتُهم مِنيّ بِمَا قَدْ سَاءَهُمْ
وَ خَسَأتُ باطلَهُمْ بحَقٍ ظاهرٍ

[31]

و حَوْلَ فواصل القرآن، شرح بأَن الفواصل التي جاءَت في القرآنِ عَلَى ضروبٍ:

«منها هُو مُتباعدٌ لايَجري مجرى السجع و فيه ما يجري مجرى المسجوعات و إذا جاءَت الكلماتُ مختلفاتُ الإعراب ـ بعضها موضوعٌ و بعضها منصوبٌ و بعضها مخفوضٌ ـ فمن الناس مَنْ يرى ذلك سجعاً و منهم من لاَ يَدخُلُهُ باب المسجوع فإذا اِختلف اَوائلَ الكلماتِ في الضمُ الفتح و الكسرِ فيه اِختلافٌ كَمَا اِختلافهم في اِعراب» و حَول قضية سجع الحمائم قال المعري: «لَو علمت الحمائم الساجعةُ اَنّ اللّه سبحانه اَوْ نبيه صلي اللّه عليه و آله يكره سجعها عَلى الغصون لخرست عنه و تبرأتْ مِنه و كذلك النوق الموصوفه بأنّها ساجعاتٌ» [32]
ثُمّ ينتقل اِلى موضوع كراهية الرسول السجعَ قائلاً:

«و اِنما كرهه ـ عليه السلام ـ لاَنه قد كثر في كلام الكُهان فنهي عنه غيرمحرم لَه و قَدْ رُويَ عنه كلام مسجوعٌ في حديث جريد بن عبداللّه البجلي منه قوله ـ لَمّا سَألَه عَنِ المَرعى و الماءِ ـ «خير الماءِ الشبم و خير المرعى السلم، اِذا سقط صارَ درينا و اِذ خبط جُعلَ لجينا.» [33]
و في ختامِ رسالتِهِ يظهر المعري متواضعاً اَمامَ داعي الدُعاة مادحاً اِياهُ:

«و سيدنا الرئيس الاَجل المؤيد في الدين ـ لا زالت حجته باهرة و دولتُه عالية ـ و لو ناظر ارسطاطيس لَجاز اَنْ يُفْحِمَه، اَوْ اَفلاطونَ لنبذ حُجُجَهُ خلْفَه، واللّه يُجَمّلُ بحياتِهِ الشريعةَ، و ينصرُ بحُججِهِ المِلّهِ و حسبي اللّه و نِعْمَ الوكيل.» [[34]

خُلاصَة ما ورد في هذه الرسالَة التي كتبها المعري رَداً عَلَى رسالَةِ داعي الدُعاة

1. طلب اَبي العلاءِ الرُشدَ...
2. شَرَحُ اَبياتِ القصيدة الحائية لداعي الدُعاة...
3. إشارتهُ اِلى اَسرار اللّه....
4. كراهَةُ السمك للخروج مِن الماءِ...
5. رَحْمَةُ الحيوان...
6. ظلمُ الطيرِ...
7. تقشف علي (ع)
8. تقشف المجتهدين
9. مَرض اَبي العلاءِ و ضعفه
10. اِسترشاد داعي الدُعاة باَبي العلاءِ
11. توسيع رزقِ اَبي العلاءِ
12. زُهد اَبي العلاءِ
13. سجع اَبي العلاءِ
14. فواصل القرآن
15. سجع الحَمائم
16. كراهية الرسول (ص) للسجع

الرسالَة الخامِسَةُ: الرسالة الثالثةُ مِن داعي الدُعاة اِلى اَبي العلاءِ و فيما الاِعترافُ بفضلِ اَبي العلاءِ الّتي لَمْ يَرُدّ عَلَيْهَا اَبوالعلاءِ المعري

فِي هذه الرسالةِ يعترف داعي الدُعاةِ بفضل اَبي العلاء و حكمته حيث يقول في بدايَةِ:

مَا فاتَحتُ الشيخَ ـ اَحْسَنَ اللّه توفيقَه ـ بالقولِ، اِلاّ مُفَاتَحَة مَتَنَاكِرٍ عَلَيْهِ فيه مُوثِر لان يُخفي مِنْ اَيْنَ جاءَ السؤال، فيكونَ الجوابُ عنه باستدلالٍ و رَفضٍ حشمَةً، وَ حَذف تكلّف للخَطابِ بسيّدنا و الرئيسُ، وَ مَا يجري هذا المجرى اِذْ كانَ حُكْمُ ما يتجاري فيه، مُوجباً ألاّ يتخلّلهُ شيئٌ مِنْ زَخارفِ الدُنيا و لاَني أَعتقد اَنّ سيديّ بالحقيقه مَنْ تُسْتَقَلُّ دونَ يَده يَدايَ صَدّاً مَنْهُ للدُنيا، اَوْ تَمتارُ نفسي مِن نفسهُ اِستفادةً مِنْ مَعَالِمِ الأخرى، فَمَا اَدْري كَيْفَ اِنكشفت الحالُ حتّى صَارَ الشيخ ـ اَدام اللّه تَأييدَه ـ يُخاطِبُني

بسيّدنا و الرّئيسِ، وَ لَسْتُ مُفضلاً عليه في دُنيا و لاَ دينٍ بَلْ شادَ راحلتي اليه الاستفادَةُ، اِنْ وَرَدَت مَوردَهَا، اَوْ صادَفَتْ نهراً اَوْ عَلالتها، قابلْتُهَا بالشُكرِ لنعمَتهِ و الاِسجالِ على نفسي بأستاذيّته. [[35]

ثُمّ يشيرُ داعي الدُعاةُ اِلى معرفتهِ التّامَة بالناسِ مُقَسماً اِيّاهُم اِلى قسمينِ قائلاً:
«و بَعْدُ ـ فَإني اُعلمُه ـ اَدام اللّه سَلامتَه ـ اَني شققت جيب الأرضِ منِ اَقصىَ دياري اِلىّ مصر وَ شاهَدْتُ الناسَ بَيْنَ رَجلينِ اِمّا مُنتحلَ لشريعةٍ صَبَاً اِليها و لَهج بها اِلى الحد الّذي، اِن قيل لَه مِنْ اَخبارِ شرعِه: اِنّ فيلاً طارَ، اَوْ جملاً باضَ، لَمَا قابَلَهُ اِلاّ بالقبول و التصديق و لكانَ يُكفّرُ مَنْ يَرَيَ غَيْرَ رَأيِه فيه و يُسفّهُه وَ يلْعَنُه و العقلُ عند مَنْ هذه سبيلهُ في مهواةٍ و في مضيعَةٍ فَلَيس يَكادُ ينبعثُ اَنَ الشريعةَ التّي هُوَ مُنْتَحلُهَا. لَمْ يُطَوّقْ طوقَهَا و لَمْ يُسَوّر سِوارَهَا، اِلاّ بَعْدَ بلوغ نور العقلِ مِنه، فلكيف يُصحُّ تَوَلّيِه اَوّلاً و عَزلُهُ آخِراً؟ [[36]

ثُمّ يتحدث داعي الدعاة عن كيفيةِ معرفتهِ بأَبي العلاءِ و يُشيرُ اِلى اَقوالِ الناسِ حوله أي في أبي العلاءِ:
«فَلَمّا رَمَتْ بِي المرائي اِلى الشامِ و سمعتُ اَنّ الشيخَ ـ وفّقَه اللّه ـ يَفْضُلُ في الاَدبِ و العلمِ و قَدْ اِتّفقَتْ عَلَيه الأقاويلُ و وَضَعَ به البرهانُ و الدليلُ و رأيتُ الناسَ فيما يتعلّقَ بدينهِ مختلفين و في آمرِه مُبتَلين فَكُلٌّ يَذْهَبُ فيه مذهباً. [[37]

وَ حَولَ اَقوالِ الناس فيه: «و حضرتُ مجلساً جليلاً أجري فيه ذكرُه، فقالَ الحاضرون فيه غَثّاً و سميناً فَحفظْتُه في الغيبِ، و قُلْتُ: اِنّ المعلومَ مِنْ صَلابتِهِ في زُهدِه يَحميه من الظّنَةِ و الريب و قامَ في نفس اَنّ عَنْدَهُ مِنْ حَقائِقِ اللّه سِرّاً و قَدْ اَسبَلَ عَليه مِن البقيةِ سِتْراً و اَمراً يُميّزُ به عنْ قومٍ يُكَفّر، بَعْضُهم بَعْضاً. [38]
و بَعْدَ ذلك يشيرُ داعي الدُعاةِ اِلى القضايا التي طُرِحت في الرسائل المتبادلَهِ بينَهُما واحداً واحداً مِنْ مثل:
أَ: اِمتناع اَبي العلاءِ مِنْ قبولِ المعونَة قائلاً:
«فقطَعْتُ الحُجّةَ في هذا الباب اَيضاً وَ عَيّنْتُ لَه على جمةٍ كريمةٍ من الذينَ لاَيُتبعونَ مَا اَنفقوا مَنّاً و لاَ اَذيً. مَا يقومُ بقدَرِ كفايتهِ مِنْ اَطيبِ مَا يَأكلونَ، وَ اَزْكى مَا في البيوتِ يُدَخّرونَ فَتَحَافَتْ نَفسُه ـ وَقاها اللّه السوءَ ـ عَنْ هذا الباب أيضاً و كَتَبَ في الجواب الثاني بأَنّه لا يُؤثِرُ ذلكَ و لا يَرْعَبُ فيه، و لاَ يخرقُ عادتهُ المُستمرّةَ في الترك.» [[39]

ثُمّ يُشيرُ اِلى قضيةِ امتناعِهِ طلب الرُشدِ قائلاً:

«و أبتدأ يقولُ: اِني طَلَبْتُ الرُشْدَ مِنْ لا رُشدَ عندهُ و اِنّ البيتُ الذي قالَه مِمّا تَعَلّقْتُ بِهِ و جَعَلتُهُ بِحجّةً اِلى اِستقراءِ طريقته و مَذْهبِه، اِنّما اَرادَ الاِعلامَ باجتهادِه في التدينّ وَ مَا حيلتُه في الآيةِ المُنْزَلّةِ (مَنْ يَهْدِ اللّه فَهُو المُهتدِ و مَنْ يُضْلِلِ فَلَنْ تَجدَ لَه ولياً مُرشِداً). فجمع بَيْنَ المُتضادينِ في كلمةٍ واحدة لانّه اِنْ كانَتْ الآيَةُ حَقّاً، كانَ الاِجتهادُ باطلاً. وَ قالَ اِنّ للّهِ سبحانَه اَسراراً لا يقفُ عليها اِلاّ الأولياءُ، فَنحنُ على ذلك السِر ندورُ وَ على باب مَنْ هُوَ عِنْدَهُ نطوف، فاِن قُلْنا: اِنّه ـ حَرسَهَ اللّه) ـ مِنْ اَصحابه، بَدعوى صحّة في دينه و عقلِه و مَرَضِ الناسِ على موجب قَوْلِه قالَ: لا رُشدَ عِندي فنَظَمُه في هذا المعني يُناقِضُ نَثْرَه و نَثْرُه يُخالفِ نَظْمَه، فَكَيْفَ الحيلَة؟ [40]
ثُمّ حَولَ قضية صِحَةِ الدينِ و العقل قال: اِن البيتَ المقولَ:

غَدَوْتُ مريضَ العقلِ و الدين فالقني

لتعَلمَ أنباءَ العقولِ الصَحائِح

يُوَدّي معناه البيت الثاني:

فَلا تَأكُلَنْ مَا اَخْرَجَ الماءُ ظالماً وَ لا تَبغْ قوتاً مِنْ غريضِ الندبائِح فكَانّ مَرضَ الدين و العقلِ مِن جِهَةِ اَكْلِ اللُحومِ و شُربِ اللَبانِ وَ تَناوُلِ العسلِ، فَمَنْ تركَ هذه المَطَاعم كانَ صحيحاً دينهُ و عَقلُهُ وَ هُوَ يَعْلَم اَنّ صِحَةَ الاَديانِ و العقول لاتقومُ بذلك و لا يجوزُ اَن يكون هذا البيت الثاني ناسخاً لِحُكمِ الاَول، فيكونُ محصولُ دَعواه في فقر الناسِ. اِلى اَنْ يصَحّ دينُهم و عقلُهم و هُوَ اَنْ يقولُ لَهُم: «لا تأكلوا اللَحْمَ و اللَبَنَ!!!» [41].
كَمَا يُعالجُ قضية كراهية السمك الخروج مِنَ الماءِ في رسائله السابقة قائلاً: اَمّا قولُه اِن الحيوانَ البحري كارهٌ اَنْ يَخْرج اِلى البر و اِنّه لَيْسَ يَقبح في العقولِ ترك اكله و اِنْ كانَ حَلالاً لانّ المتدينين لَمْ يَزالوا يتركونَ مَا لَهُمٌ طلقاً فَما مِن حيوانٍ بحريٍ و لاَ بريٍّ، هُو اَجَلٌ مِنْ هذا الاِنسان الحَسّي العاقلِ وَ هُوَ كارهٌ للمَوتِ فَيموتُ و كارهٌ لانْ يأكله شيءٌ و الدّودُ يأكلُه في قَبرِه فاِن كانَ ذلك صادراً عَنْ موضعِ حكمَةٍ كانَ ما ذكره من الحيوانِ البرّي و البحري جارياً في مضمارِ هذا مَثلاً بِمثلٍ و اِن كانَ معدولاً به عَنْ وَجْهِ الحكمةِ كانَ مُحالاً اَنْ يكون صانعي سَفيهاً، وَ اَكون و اَكونَ ـ اَنا مصنوعُه ـ حكيماً. ثُمّ يُشير اِلى ما عالج به اَبوالعلاءِ في رسالتِه السابقة رَداً على داعي الدُعاةِ وَ هِيَ قضايا هامَةٌ مِنْ مثل زُهدِ النبيُ (ص) و تعبدُه و تركه الحلال و اَيضاً تقشفِ علي (ع) قائلاً:

ـ «اَمّا قَولُه: اِنّ النبيَ صَلّي اللّه عليه و آله و سلّم، صَلّي اِلى اَنْ تقرّحتْ قَدَماهُ فقيل لَه فيه، فقالَ: اَفلا اُحِبُّ اَن اَكونَ عبداً شكوراً؟ فَمَا هذا مِمّا نَحْنُ عليه في شيئٍ و الانسانُ لَه اَن يُصلّي مِن الصّلواتِ، في الاوقات الّتي تجوزُ فيها الصلاة عَلىّ اَلاّ يَزيدَ في الفرائضِ و لا يَنقُصَ مِنها و هذا الكلامُ شرعيٌ و كانَتْ القضيةُ للتكلّمِ على العقليات. [42]

و اَمّا قولُه: «اِن النبي عليه الصلاةُ السّلامُ، حَرّم صَيْدَ الحَرَم و اِنّ لغيرِه اَن يُحرّم صَيْدَ الحِلّ تَقَرُّباً اِلى اللّه سُبحانَه، فَلَيْسَ لاحَد اَنْ يُحّلِلَ اَوْ يحرّمَ غَيْرُه». كَما نري اَن قوله حول تقشف عَلي (ع): «اِن علياً عليه السلامُ، لَمّا قُدّمَ اِلَيْهِ الخبيصُ سَأَل: هَلْ أكُلُ النَبيُّ صَلّي اللّه عليه و سَلّمَ مِنْهُ؟

فَلَمّا قالوا: لا، رَفَعَه و لَمْ يَأكُلْه، فهذه الحُجّةُ عَليه لا لَهُ، فَاِنّ الناسَ مجمعونَ على اَن النبي صَلّي اللّه عليه و سَلّم، لَمْ يُفارقِ اَكْلَ اللّحمِ وَ هُو يَحْجُرُه دَهْرَه وَ ذلك بالضّدِ سَواءً، و لَوْ اَنّهُ ـ حَرَسه اللّهُ ـ لَمْ يَسْتَظْهِرْ عَلىّ بالشريعةِ وَ لَمْ يَتجاوَزْ نُصْبَةَ العقلِ، لَصُنْتُه عَنْ هذا الجواب الّذي عَسى اَن يستغِلَ يسرّهُ و يَعُزُّ عَلىّ ذلك. [43]

ثُمّ يشير داعي الدعاة إلى شكوى اَبي العلاءِ مِن الضعفِ قائلاً:

«و أمّا ما شَكا مِنْ ضَعْفِه، وَ قصورِ حَركته و اَنّه لَمْ يَبْقَ فيه بقيّةٌ لان يُسْأَلَ و لا اَنْ يجيبَ، فَمَا هَوَ ـ حَرسَهُ اللّه ـ على عِلاتِه مِنَ الضعفِ و القوةِ، اِلاّ مِنْ محاسنِ الزمانِ و مِمّنْ سارَتْ بذكرِ فضلهُ الرُكبانُ، اِلاّ اَنّهُ على عُدْوانِ الدَهرِ عَليه، عَدا على نفسه، بحرمانِها مَلاَذّ رُيناها فان وَثِقَتْ نَفْسُه بمَلاَذّ تَعْتاضُ عَنْها، مِمّا هُوَ خيرٌ و اَلقى مِنها، فَمَا خَسِرَتْ صَفقَتُهُ وَ قامَ مصداق قولِه بالبيتِ المُقدمّ ذكرُهُ و اِن كانَ يُؤسَمُ بِمِيْسَمِ الشُحّ بِمَنْعِ المُنْتَجعين وَ رَدّ السائلينَ.

و اِنْ كانَ شَقّ على نفسه مِنْ غَيْرِ بصيرةٍ كَما يَدّعيه الآنَ خَوْضاً مَعَ الخائضينَ، و تحيُّراً مَعَ اَمثالِنا مِنَ المتحيّرينَ فَقَدْ اَضاعَهَا وَ جَنى عَلَيْهَا اِدّعَي في البيتِ المُقدّمِ ذكرُه مَا لا بُرهانُ لَه و الغرضُ في السؤالُ و الجواب الفائدةُ، و اِذا عُدِمَتْ فقد خَفّفَ اللّهُ عَنْه اَن يتكَلّفَ جواباً. [44]

و اخيراً بَعْدَ طرحِه هذه القضايا تاماً هُوَ ينتهي رسالَتَهُ مع اِعتذارِه اَبا العلاءِ عَمّا قالَه في كُلِّ رسائلِه قائلاً:

«وَ قَبْلُ و بَعْدُ، فَاَنَا اَعتذرُ عَن سِرٍّ لَه ـ اَدامَ اللّه حراستَه ـ اَذَعتُه، وَ زمانٍ مسنْه بالقراءةِ و الاِجابَةِ شَغَلْتُه، لانّني مِنْ حَيثُ مَا نَفعَته ضَرَرْتُه و اللّه التعالى يَعْلَمُ، اَنّي مَا قَصَدتُ به غَيْرَ الاِستفادَةِ مِنْ عِلمِه و الاغترافِ مِنْ بَحرِه و السلام...» [45]

وَ بَعْدَ اَنْ فَتّشنا في كُلِّ المراجع و المصادر حولَ رسائِل اَبي العلاءِ ما وَجَدْنا شيئاً يُشيرُ اِلى رَدِّ اَبي العلاءِ على هذه الرسالَة و يبدو اَنَّ اَبا العلاءِ لَمْ يَرُدّ عَلَى هذه الرسالَة و بذلك تنتهي المراسلات بينَه و بَيْنَ داعي الدُعاة، فاِذا اَرَدنا اِختصارَ مَا وَرِد في هذه الرسالَة اَمكنَنا اَنْ نُسجّلَ العناوين التاليةَ لهذه الرسالَة:

1. مَعرفَة داعي الدُعاة للناس...
2. سماع داعي الدُعاة بأَبي العلاءِ...
3. اَقوال الناس في اَبي العلاءِ...
4. الكلام عن البيت: غَدَوْتُ مريض الدين...
5. جَوابُ اَبي العلاءِ...
6. ذكر اَبي العلاءِ لعجزه و ضَعْفِه...
7. المُناقَشَة في اَكْلِ اللحمِ....
8. طلب الرُشدِ...
9. كراهية السمك الخروج مِنَ الماءِ...
10. تركُ الحلال....
11. شكوى اَبي العلاءِ مِنَ الضَعْفِ...
12. اعتذار داعيُ الدُعاةِ مِنْ اَبي العلاءِ المعري

واِعترافه بِفَضْلِ اَبي العلاءِ...

كانت هذه العجالة محاولة لمعرفة جانب من أفكار أبي العلاء المعري في بعض القضايا من خلال الرسائل التي تمّ تبادلها بينه وبين داعي الدعاة الفاطمي و من خلال ما مرّ نتضح الأمور التالية:

1. بيّن رسائل داعي الدعاة الاتجاه الديني السياسي السائد في ذلك العصر حيث كان رجال الدين يخدمون الحكومات الأمر الذي كان يعطيهم صلاحيات واسعة ممّا يتطلب بحثاً مستقلاً.
2. تبين رسائل أبي العلاء جانباً من نثره في خطوطه العريضة و ذلك مجال أدبي يستطيع الباحث الأدبي تناوله في بحوث خاصة.
3. كانت محاولات داعي الدعاة لإقناع المعري بترك تحريم أكل اللحم و ما تنتجه الحيوانات تهدف إلى إرشاد أبي العلاءِ من قبل داعي الدعاة ظناً منه أنه في مواجهة إنسان غير واعٍ لما يقوم به.
4. كانت إجابات أبي العلاءِ تدل على حنكة واسعة و عمق و تدبير عنده مكّنته من تجنب أي مشاكل تترتب على عدم الانصياع لطلب داعي الدعاة الفاطمي.

5. كانت مَحاوِر رسائل أبي العلاء تتركز على أمور منها:
   - تواضع اَبي العلاءِ
   - اِحساسُ الحيوانِ بالألم
   - عِلةُ هجران اَبي العلاءِ اللحومَ
   - الرأفَة بالحيوان
   - حياة اَبي العلاءِ
   - طلب اَبي العلاءِ الرُشدَ
   - شرحُ اَبيات القصيدة الحائية
   - رحمَة الحيوان
   - ظلمُ الطيرِ
   - توسيع رزقِ اَبي العلاءِ
   - سجع اَبي العلاءِ
   - سجع الحَمائِم
6. كانت محاور رسائل داعي الدعاة في الغالب تتركز على محاور أهمها:
   - مدح اَبي العلاءِ وذكر فضائله الكثيرة
   - وجوب التعلق بالعلم النافع
   - عِلّة تحريم اَبي العلاءِ اللحومَ و اللاكبانَ
   - خلق النبات للحيوان والحيوان للاِنسان
   - قضية الخير و الشرِ
   - خلق اللّه العصاة
   - معرفة داعي الدُعاة للناسِ
   - سماع داعي الدُعاة باَبي العلاءِ
   - المُنَاقَشَةُ في اَكلِ اللحم
   - اِعتذارُ داعي الدُعاة مِن اَبي العلاءِ المعري و اِعترافه بفضلِ اَبي العلاءِ

مراجع لِلاِستزادَة:

1. إتحافُ الفُضَلاءِ برسائل اَبي العلاءِ المعري، دراسةٌ و اِعدادٌ: محمد عبدالحكيم القاضي، محمد عبدالرزاق عرفات ـ دارُ الحديث ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى 1410 هـ ـ 1989م.
2. معجمُ الأدباءِ اَوَ اِرشادُ الأريب اِلى معرفَةِ الأديبِ ـ تصنيف: اَبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي ـ المجلد الاول ـ دارُ الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى 1411 هـ ـ 1991م.
3. ديوانُ البُحتري ـ دار صادر ـ دار بيروت للطباعَة و النشر 1916 م.
4. تتمة يتيمة الدهر في محاسن اَهل المصر، أبو منصور عبد الملك النيسابوري شرح وتحقيق د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية ـ بيروت ط الأولى 1983 م.
5. الجامع في اَخبار اَبي العلاءِ المعري و آثاره ـ محمد سليم الجندي ـ تعليق و إشراف عبدالهادي هاشم، دار صادر ـ بيروت ـ الطبعة الثانية 1413 هـ 1992 م.
6. تعريفُ القدماءِ بأَبي العلاءِ ـ طه حسين و لجنة من الأدباءِ ـ مكتبة دار الكتب المصريه. 1944 م.
7. تجديدُ ذكرى اَبي العلاءِ المعري ـ طه حسين مطبعة دار المعارف بمصر ـ ط التاسعة. بدون تاريخ.
8. رسائل ابي العلاء المعري، تحقيق و شرح وضبط: حسان الطيّبي، دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى 1426 هـ . 2005 م.

0

ملاحظة

الكاتبة: خريجة جامعة آزاد الإسلامية في كرج

حواشي

[1]] معجم الأدباءِ، ج 1

[2]] و هو أبو نصر بن عمران ـ داعي دُعاة الإسماعيليّة بمصرَ

[3] إتحاف الفضلاءِ برسائل اَبي العلاءِ ـ محمد عبدالحكيم القاضي و محمد عبدالرزاق عرفات، ص 376

[4] إتحاف الفضلاءِ برسائل اَبي العلاءِ المعري محمد عبدالحكيم القاضي، محمد عبدالرزاق عرفات، ص 376

[5]إتحاف الفضلاءِ برسائل اَبي العلاءِ المعري ـ محمد عبدالحكيم القاضي، محمد عبدالرزاق عرفات، ص 377

[6]] معجم الأدباءِ، ياقوت الحموي، ص 435

[7]] رسائل اَبي العلاءِ المعري، تحقيق وشرح و ضبط حَسان الطيبي ص 231، اتحاف الفضلاءِ برسائل اَبي العلاءِ المعري، محمد عبدالحكيم القاضي، محمد عبدالرزاق عرفات، ص380

[8] إتحاف الفضلاء برسائل اَبي العلاءِ المعري ـ محمد عبدالحكيم القاضي، محمد عبدالرزاق عرفات، ص 380

[9]] معجمُ الأدباءِ، ياقوت الحموي، ج 1، ص 437

[10]] معجم الأدباءِ ـ ياقوت الحموي ـ ج 1. ص 435

[11] إتحاف الفُضلاءِ برسائل أَبي العلاءِ المعري ـ محمد عبدالحكيم القاضي ـ محمد عبدالرزاق عرفات، ص384

[12]] معجم الأدباءِ ـ ياقوت الحموي ـ ج 1، ص 437 ـ 438

[13] إتحاف الفضلاءِ برسائل أَبي العلاءِ المعري، محمد عبدالحكيم القاضي، محمد عبدالرزاق عرفات ـ ص384

[14]] معجم الأدباءِ ـ ياقوت الحموي ـ ج 1، ص 438

[15]معجم الأدباء ـ ياقوت الحموي ـ ج 1، ص 438

[16]] معجم الادباءِ، الياقوت الحموي، ج 1، صص 438-439، اتحاف الفضلاءِ برسائل أَبي العلاء المعري محمد عبدالحكيم القاضي ـ محمد عبدالرزاق عرفات ص ص 389- 390

[17]معجم الأدباء ـ ياقوت الحموي، ج 1 صص 441-440

[18]] معجم الأدباءِ ـ ياقوت الحموي ـ ج 1، صص 442-441

[19]] معجم الأدباءِ أَوْ إرشاد الأريب في معرفَةِ الأديب، أَبي عبدالله ياقوتِ بن عبدالله الرومي الحموي، ص442

[20]معجم الأدباء ـ لياقوت الحموي ـ ج 1، ص 442

[21] إتحاف الفضلاءِ برسائل أَبي العلاءِ المعري ـ محمد عبدالحكيم القاضي ـ محمد عبدالرزاق عرفات، ص 399

[22]إتحاف الفضلاءِ برسائل أَبي العلاءِ المعري ـ محمد عبدالحكيم القاضي ـ محمد عبدالرزاق عرفات، ص401

[23]إتحاف الفضلاءِ برسائل أَبي العلاءِ المعري محمد عبدالحَكيم القاضي، محمد عبدالرزاق عرفات، ص 401

[24]] معجم الأدباءِ ـ ياقوت الحموي، ج 1، ص443

[25]] معجم الادباءِ ـ لياقوت الحموي، ج 1، ص 443

[26]] معجم الأدباءِ ـ ياقوت الحموي ـ ج 1، ص 445

[27]] معجم الأدباءِ ـ لياقوت الحموي، ج1، ص 446

[28]] معجم الأدباءِ ـ ياقوت الحموي ـ ج 1، صص 447- 448

[29]إتحاف الفضلاءِ برسائل أَبي العلاءِ المعري ـ محمد عبدالحكيم القاضي ـ محمد عبدالرزاق عرفات، ص 416

[30] إتحاف الفضلاءِ برسائل أَبي العلاءِ المعري، محمد عبدالحكيم القاضي، محمد عبد الرزاق عرفات، ص 417

[31]] معجم الأدباءِ، ياقوت الحموي ـ ص 449

[32]إتحاف الفضلاءِ برسائل أَبي العلاءِ المعري ـ محمد عبدالحكيم القاضي ـ محمد عبدالرزاق عرفات، صص 418 ـ 417

[33]إتحاف الفضلاءِ برسائل أَبي العلاءِ المعري، ص 419

[34]معجم الأدباء ـ ياقوت الحموي، ص 449

[35]] معجم الأدباءِ ـ ياقوت الحموي، ج 1، ص 450

[36]] معجم الأدباءِ ـ ياقوت الحموي، ج 1، ص 451

[37]] معجم الأدباءِ ـ ياقوت الحموي ـ ج 1، ص 451

[38]] معجم الأدباءِ ـ ياقوت الحموي، ص 451

[39]] معجم الأدباءِ ـ ياقوت الحموي ـ ج 1، ص 453

[40]إتحاف الفضلاءِ برسائل اَبي العلاءِ المعري ـ محمد عبدالحكيم القاضي ـ محمد عبدالرزاق عرفات، ص426-427

[41]] معجم الأدباءِ ـ ياقوت الحموي ـ ج 1، ص 454

[42]] معجم الادبا ـ ياقوت الحموي ـ ص 454 و إتحاف الفضلاءِ برسائل اَبي العلاءِ المعري ـ محمد عبدالحكيم القاضي، محمد عبدالرزاق عرفات، صص 427-428

[43]معجم الأدباء ـ ياقوت الحموي ـ ج 1، ص 455

[44]] معجم الأدباءِ ـ ياقوت الحموي ـ ج 1، ص455

[45]إتحاف الفضلاءِ برسائل اَبي العلاءِ المعري ـ محمد عبدالحكيم القاضي ـ محمد عبدالرزاق عرفات، ص 430 و معجمالأدباءِ ـ ياقوت الحموي، ص 456

هدية جهره برداز